أطلق الشباب السوري شعلة الثورة، فكانوا أوّل من تحسّس إمكانية إسقاط النظام عبر دعوات الفيس بوك في شهر شباط 2011، أو في مناصرته الثورة المصرية والليبية أمام سفارتيهما، أو في تظاهرتهم الرمزية في 15 أذار 2011، حيث كانت الدلالة الأبرز إلى بداية الثورة، وضرورة العبور نحو نظام جديد، يسمح للسوريين بإعادة بناء دولتهم الجديدة، ولصالح كافة السوريين.

الشباب الذي اندفع للثورة كان بمعظمه من المتعلمين والمسيسين، والأقرب للروح اليسارية والديموقراطية، ولاحقاً مع درعا، والرد الهمجي للنظام على مطالبة الأهالي بالإفراج عن الأطفال، اندفعت القطاعات الأكثر تهميشاً وإفقاراً، ولا سيما الشباب منهم، للمشاركة بالثورة، ولكن وحالما سعّر النظام من قتله، انكفأت بعض الفئات المتوسطة، وبقي الفقراء ينازلون السلطة بأجسادهم العارية.

إذن، الشباب هم الجسد المركزي للثورة، سواء بالمظاهرات، أو بالإعلام، أو بالسلاح، أو بأعداد الشهداء، ولكن هل هذا يعني أن الثورة ثورة شبابية؟ بالتأكيد لا، الثورة ثورة الطبقات المهمشة والمفقرين، وكل من ينتمي لهذه الطبقات من الشباب وغير الشباب، ولكن لأن الشباب فقد كل ثقة بتأمين حاجياته، في إطار النظام الحالي، ورأى شجاعة الشعوب العربية التي أسقطت أنظمتها، فقد أيقن بنجاحه، فاندفع دون تردد، بل وبشجاعة وجرأة عظيمة ودون حذر يذكر، للمساهمة في كل أعمال الثورة، وذلك لتقريب لحظة ذلك السقوط.

لعبت همجية النظام المطلقة، من قتل وتعذيب لاعقلاني واعتقال وسجن مديد ومتابعات أمنية وعدم استخدامه أية وسائل قانونية أو سياسية في إطار مواجهة الشعب المنتفض، لتكون الكتلة الأساسية المشاركة بالثورة هي شريحة الشباب، حيث من خصائصهم العمرية: التمرد والرفض والشعور بعدم خسارة شيء والرغبة بإثبات الذات والتغيير الثوري، ولأنهم لا يمتلكون في ظل هذا النظام أي شيء؛ فلا عمل ينتظرهم ولا تعليم جيد ولا سكن خاص لهم ولا يوجد نقود بجوزتهم ويتعرضون لكل أنواع التضييق السياسي والاجتماعي، لكل ذلك، ولغيره كان دورهم أساسياً، وخاصة في بداية الثورة، ولاحقاً في المناطق غير المتحركة، ليكون الشباب أكثر الثائرين؛ فهو المتظاهر الأبرز والإعلامي، وهو الطبيب المعالج، ولاحقاً هو المسلح، ولكن لو سمح النظام للمجتمع السوري بالتعبير الحر، لرأينا ملايين السوريين ومن كل الأعمار يملؤون الساحات... لذلك علينا التواضع والاعتراف بدور الشباب المفقر والمهمش وبعض تيارات الشباب المتعلمة من الطبقات المتوسطة، وندرة قليلة من الطبقات الغنية، في استمرارية واشتداد وتوسع الثورة.

من أجل حقوق الشباب بالعلم والعمل والثقافة

نريد إسقاط النظام

هذا الشباب، لم يستطع تقديم رؤية خاصة به، ومن الخطأ المعرفي بخصائصه العمرية وبطبيعة الثورة السورية إدانته لذلك السبب، فبقي نشاطه العملي الميداني هو المركزي، عبر التنسيقيات وأشكال تنظيمية مشابهة، وإذا كانت المعارضة بتشكيلاتها لم تستطع ذلك، فإن عذره يكون أكبر، ولكن موضوعياً، الشباب لا يستطيع تشكيل تلك الرؤية بسبب تعدد اهتماماته، ولكونه من انتماءات طبقية متشعبة، ولذلك لم يكن معنياً عبر نشاطاته المستمرة منذ بداية الثورة بهذه القضية، بل إن قضيته المركزية، كانت ولا زالت إسقاط النظام.

نعم، للشباب الثائر حقوق مهدورة، ولا بد لنا من القول، إنه وبحال إسقاط النظام، لا بد من المطالبة بها وهي: الحق في تأمين فرص عمل وتعليم متطور ومجاني وتأمين كل الدعم المالي له لتأمين احتياجاته العلمية ولا سيما الجامعية العالية، وأن تكون ميزانية الدولة المخصصة لشؤون التربية والتعليم كبيرة، وفتح ورش تدريبية له بمختلف اختصاصات العمل، ودمج كتلته المسلحة بمؤسسات الجيش الوطني، والتعويض لأسره عن استشهاده؛ هذا الشباب لن نتركه بلا مستقبل، وسيكون لليسار السوري، دور في رفع الظلم عنه كما هو يدافع عن الطبقات الشعبية، والمطالبة بحقوقه، والمساهمة في تشكيل اتحاداته ومنظماته المستقلة وكل الأشكال التنظيمية بغية مساعدته في تطوير قدراته ولعب دور في تقدم المجتمع.

اليساري
الشعب يريد إسقاط النظام
ائتلاف اليسار السوري
العدد 8 - تاريخ 01/08/2012

العصيان المدني والعمل العسكري

توسعت الثورة في كل المدن السورية، ودخلت بقوة وبجرأة عظيمتين كل من دمشق وحلب، وإذ انتقل النظام لسياسة تدمير المدن السورية عبر الحوامات والطيران الحربي والقصف المدفعي، وبات يقدم تمهيدات لعمل عسكري مدمر بأسلحة» كيماوية»، فإن تكلفة الثورة وفيما هي تتصاعد في كل سورية، صارت شلالات من الدماء، حيث لا يتوانى النظام عن قصف كل حواضن الثورة، السلمية منها والعسكرية، وهو ما يتطلب إعادة الاعتبار للبعد الشعبي في الثورة، والتذكير بأنها ثورة شعبية أخذت أشكال نضالية عديدة، من المظاهرة إلى الاحتجاج إلى الإضراب إلى أشكال لا متناهية خلقها الشعب الثائر وصولاً للعمل المسلح، المطلوب هو إعادة الروح بإرادة وتصميم كبيرين لكل أشكال الثورة من جديد بعد أن طغى الشكل المسلح، وهذا يتطلب ليس فقط إعادة الاعتبار للإضرابات في أحياء المدن، بل إعلان العصيان المدني الشامل إلى أن يسقط النظام، فنظام يمارس التدمير كآخر أدوات القتل التي يمتلكها، ويخشى الدخول إلى أرض المعركة عبر المشاة والأمن والشبيحة، هو نظام ساقط، ولأنه كذلك، فيتوجب إطلاق الرصاصة الأخيرة عليه.

ما يستطيع تخفيف واختصار آلام السوريين، هو العصيان المدني الشامل، حيث تتوقف الدولة عن أية فاعلية عندما لا يغادر الموظفون منازلهم إلا للمشاركة بالثورة، وذلك بالتزامن مع استمرار العمل العسكري بمعاركه الدفاعية ضد النظام، والاستمرار بتأمين حاجيات الموطنين في مناطق العصيان، وهذا يتطلب تضافر عاملي الثورة الحاليين المدني والعسكري، وإيجاد آلية للتوافق بينهما، بما يؤدي إلى تجنيب العاصمة الدمار الشامل، إن خوض مناوشات عسكرية صغيرة وسريعة في قلب المدنية، سوف يربك مؤسسات الدولة ويعطلها، كما جرى أثناء «زلزال دمشق» منذ فترة قصيرة، ولا سيما بعد مقتل جزء من خلية أزمة النظام.

الثورة السورية تقترب من الانتصار من خلال العصيان المدني والثورة المسلحة، فالشعب السوري الذي حرر أغلب جغرافيا الوطن لن يوقف ثورته حتى إسقاط النظام، وهو ما يدفعنا لدعوة جميع السوريين إلى العصيان المدني الشامل، لتجنب استمرار المآسي، وخشية من تدخل عسكري يستقدمه النظام عبر سياسة التدمير التي يتبعها، فيما تتحين له الدول الإمبريالية التي ترى بأم العين تشققات النظام المتتالية، وخروج أغلبية المدن عن سيطرته، واندفاعه التدميري الثأري من شعب قرر إسقاطه، وذلك بعد صبر طويل في اعتماد خيار السلمية وحيداً، ومن ثم إبداع خيار العمل العسكري، الذي بدوره لم يحسم الثورة، وهو ما يدفعنا لدعوة كافة قوى الثورة، وكافة السوريين، إلى العمل على إعلان فكرة العصيان المدني الشامل.

إفلاس سياسة الجازر

كلما توسعت الثورة، أمعن النظام بسياسات التدمير، التي ستفلس بدورها، وستأذن بإسقاط النظام فعلياً، نظام يمارس كل هذا القتل، لا بد وأنّه شارف على الرحيل، هذا ما يجب أن يدركه الجميع، وخاصة الشرائح التي تضافرت عوامل عدة لترغمها أن تكون مؤيدة أو صامتة.

فليعلن العصيان الشامل.. فليتوقف الشعب برمّته عن التعامل مع مؤسسات الدولة.. فليمتنع عناصر الجيش عن مهاجمة الثوار.. فلتتحد سورية!.

سيعلم العالم، حالما يسقط هذا النظام، كم كانت ثورتنا عظيمة، كم كانت سلمية وشعبية، وما كان السلاح سوى خيار المقتولين، خيار الذين لم يترك لهم النظام فرصة، وهم يسعون ككل شعوب الأرض لبناء دولة جديدة.

سياسة الجازر سياسة الساقطين..

الثورة في اللحظة الراهنة

أصبح واضحاً بأن الثورة قد تقدمت كثيراً، وأنها دقت أبواب دمشق وهزّت بنية السلطة. لقد باتت كل من دمشق وحلب، المدينتان اللتان قيل عن تأخرهما الكثير، هما مركز الثورة، وأظهر ذلك أننا قد وصلنا إلى اللحظة التي بات الانتصار فيها قريباً.

ولاشك في أن الثورة باتت الآن تشمل كل سورية، ولقد أنهكت السلطة التي ظهرت ضعيفة رغم كل القصف والتدمير الذي تمارسه، ولجوئها أخيراً إلى الطيران الحربي، وهو الأمر الذي يفرض أن تتحد الاستراتيجية التي تسمح بإسقاط السلطة سريعاً، وأن نتجاوز الأخطاء التي وقعت، ونعرف كيف نوفق بين النشاط الشعبي والعمل المسلح، بعد أن أصبح جزءاً من الثورة.

وإذا كانت الثورة قد عانت من مشكلات منذ البدء، كانت طبيعية في وضع تمرّد على سلطة استبدادية، وتجاوزت بعضها ببطء، فإننا الآن في لحظة قد يودي الخطأ بالثورة، أو يؤدي إلى تأجيل انتصارها وزيادة أكلافها البشرية والمادية، وربما تشويهها بفعل سياسات النظام وبفعل التدخل الإمبريالي والخليجي والمجموعات الأصولية لتطويقها، من ثورة شعبية إلى صراع مسلح له طابع طائفي، خصوصاً وأن كثير من الأخطاء السابقة حلتها الطبقات الشعبية ذاتها، أو حُلّت في صيرورة الصراع، أي دون جهد من أحزاب أو قوى، وهو الوضع الذي يجعلنا نقول الآن إن الأخطاء يجب أن تواجه بوضوح، ودون تردد، أو تبرير.

لا شك بأن العمل المسلح في الثورة السورية قد تطور بشكل كبير جداً، فتطور تنظيمه وتكتيكه القتالي، كما تحسّن مستوى التسليح، واستطاع المقاتلون الحصول على أسلحة متوسطة، بعد أكثر من عام على القتال بالأسلحة الخفيفة، كذلك تزايدت أعداد المقاتلين بشكل لافت، وبوتيرة أعلى من تطور التنظيم والتسليح، فتحت وطأة العنف الشديد الذي يمارسه النظام في كل الأراضي السورية (حتى دمشق وحلب)، من المرجح أن الراغبين بالحصول على السلاح والقتال في صفوف المقاومة الشعبية المسلحة، باتوا أضعاف المقاتلين الفعليين الحاليين.

تتفوق المقاومة الشعبية المسلحة بالسلاح الأكثر فتكاً والأكثر قيمة خصوصاً من الناحية الإستراتيجية، وهو الاحتضان الشعبي الجماهيري لجميع أشكال النضال في الثورة.

رغم ذلك فقد بقي جيش النظام السوري متفوقاً في التسليح والتدريب والتنظيم، خصوصاً تفوقه بالمدفعية الثقيلة والطائرات، التي لا تسمح للمقاومة الشعبية المسلحة بالحفاظ على المدن والبلدات التي تحررها من قبضة جيش السلطة.

فيما تتفوق المقاومة الشعبية المسلحة بالسلاح الأكثر فتكاً والأكثر قيمة خصوصاً من الناحية الإستراتيجية، وهو الاحتضان الشعبي الجماهيري لجميع أشكال النضال في الثورة، وكذلك للعمل المسلح ضد جيش وميليشيات النظام السوري، حيث توفر جماهير الشعب السوري البيئة الحاضنة للمقاومة الشعبية، فترفع معنويات المقاتلين بشكل كبير، وتشعرهم بالتفوق الأخلاقي الضروري على الخصم، عدا عن مشاركة الجماهير في كل أشكال النضال الأخرى في الثورة (التظاهرات، الإضرابات، قطع الطرقات...)، والتي تضعف من قدرات السلطة وتشتت قواها، فلا تستطيع حصرها في مواجهة المقاتلين، وتضطر إلى توزيعها على عدة جبهات في مختلف المدن والأحياء والقرى.

وهكذا فإن التعبئة الثورية للجماهير في ظل وضع ثوري هي السبيل الوحيد لتجاوز معادلة تفوق سلاح السلطة، وهذا ما يحدث اليوم في الحالة السورية، حيث تشهد سورية اندفاع سيل جماهيري جارف ليشارك في السياسة، وإن ارتباط العمل المسلح كشكل نضالي بالتعبئة الجماهيرية، هو مصدر قوته، فوحدها التعبئة الثورية للجماهير يمكنها أن تهزم التفوق العسكري والتقني وان تبطل مفعوله، فهي بمثابة الماء الضروري لأسماك ما يسمى "الجيش الحر"، وجفاف الماء سيؤدي إلى خطر الموت، موت الثورة.

ناقوس الخطر

إن ما يدفعنا لدق ناقوس الخطر بالنسبة للعمل المسلح هو تطوره الأخير (تحت ضغط سياسة التدمير الشامل التي يتبعها النظام، والتي وصلت إلى أن يتعامل مع التظاهرات وتشييع الجنازات كتجمعات عسكرية ويقوم بقصفها!!)، حيث أصبح له بنية تنظيمية ومهام ونشاطات لا ترتبط بشكل مباشر بالحراك الشعبي كما كانت سابقاً (مهام حماية التظاهرات واغتيال المخبرين) إنها مهام

العصيان المدني

لم تكن الجمعة الأولى من رمضان "جمعة انتفاضة العاصمتين". بل هو شهر انتفاضة وعصيان هاتين العاصمتين. في دمشق وحلب سيسقط النظام. المطلوب رفع سوية العمل العسكري والشعبي على حد سواء... العمل على تعزيز النشاط الشعبي من جهة، وتطوير تكتيك وقدرات العمل المسلح من جهة أخرى، مع ضرورة بذل جهود كبيرة لاستمرار أكبر قدر من المشاركة الشعبية في الثورة. فميزان القوى لا يمكن أن يميل لصالح الثورة اعتماداً على العمل المسلح فقط، والنصر العسكري للثورة غير متوفر حتى الآن، وربما لا يزال بعيد الاحتمال، النصر الوحيد الممكن يأتي عبر حشد كل طاقات وإمكانيات الثورة الشعبية في مواجهة النظام حتى إسقاطه. عصيان دمشق وحلب بمساعدة قوى الثورة سوف يسقط النظام.

إخوة الثورة

فتّش الأمن والشبيحة بيت "أبو محمد" أكثر من عشر مرات منذ بداية الثورة، وذلك بحثاً عن مطلوبين أو أسلحة أو أدوية أو تجهيزات طبية. فبعد كل تقرير يرفعه جاره "العواينية" أبو سومر، تتم مداهمة البيت ويجري قلبه رأسه على عقب. وفي كل مرة تعود الدوريات خائبة، فلا تقبض على أحد، ولا تجد شيئاً «ممنوعاً» تصادره.. في الفترة الأخيرة، توقف أبو سومر نهائياً عن كتابة التقارير بحق جاره "أبو محمد" الذي لم يتوقف عن دعم الثورة والمشاركة بها بكل الأشكال. والسبب أنه أكل بهدلة مرتبة من أحد الضباط مؤخراً بسبب «تقاريره الكاذبة". وهو يشعر اليوم بخيبة كبيرة، وبكاد يصاب بالجنون.. لن يعرف أبو سومر أبداً، أن ابنه سومر هو من كان يقوم بتحذير "أبو محمد" في كل مرة، ويساعده في تهريب المطلوبين وإخفاء "الممنوعات" قبل وصول الدورية!.

بالعربي الفصيح..

النائب الاقتصادي.. حبيبي!

حبيبي أنت أيها النائب الاقتصادي الجديد! حبيبي عن جد، وستظل حبيبي مهما تقوّل عليك المتقوّلون، أو لاك اسمك اللائكون، أولاً لأنك شخصية، ولأن صوتك جهوري وطلتك مثل القمر، وثانياً لأنك معارض وطني حقيقي، يعني "صناعة محلية"، وثالثاً لأنك ما حلّيت عن رب الدردري النيوليبرالي حتّى طيّرته وقعدت محله، ورابعاً لأنك ضد الرعاع والخونة والمرتزقة والعصابات الإرهابية المجرمة التي تقتل الأمن والجيش وترتكب المجازر ضد المدنيين، وخامساً لأنك وعدت ووفيت... هلّق، بالنسبة لـ" أولاً"، كثيرون يقولون عنك إنك لا صوت ولا صورة، وأن وجهك مثل قفاك، والعياذ بالله، وإن منظرك مثل منظر الشبّيحة، وكلامك مثل كلامهم، ونبرتك مثل نبرتهم، لكن هذا كله غيرة وحسد وضيقة عين وضيق أفق الله وكيلك.. فلا تهتم لهم، وابق كما أنت، أنيقاً بشالك الأحمر المميز، ولطيفاً مع مذيعات الدنيا والفضائية السورية وروسيا اليوم، وحازماً ضد كل من يريد جر عربة غورو والتآمر على نظامنا الوطني المانع.. وبالنسبة لـ" ثانياً"، يعني كم عرف الناس معارضين في جميع دول العالم، لكن لم ولن يعرفوا معارضاً مثلك أبداً، فأنت الوحيد الذي يعرف كيف يعارض، ومن ومتى وكيف يعارض، ورغم تحالفك السياسي مع النظام، ورغم تشابكاتك المالية مع الفاسدين الكبار فيه، ورغم علاقاتك المتينة مع قادته الأمنيين والعسكريين المتهمين زوراً وبهتاناً بالإجرام، إلا أنك لم تتورع أبداً عن إعلان نفسك معارضاً وطنياً صرفاً ووحيداً، وهنا لا يمكن لأحد أن يزعم أنك لست صناعة سورية رغم أنك الممثل الحصري للمصالح الروسية، السياسية والاقتصادية، في سورية، ففي النهاية أنت سوري منذ عشر سنوات على الأقل كما يشترط القانون.. وبالنسبة لـ" ثالثاً"، من ينسى مأثرتك بتطيير الدردري الليبرالي المشبوه، صحيح أن الناس باتت تترحم عليه في عهدك وتقول: سقى الله أيامه، ولكن هذا غير مهم، فأنت – على الأقل من حيث النوايا- رجل يساري ومنهجك اشتراكي حتى وإن توهم البعض العكس بسبب قلة عقلهم، وبسبب بعض مواقفك الغريبة التي لا يدرك عمقها إلا العقلاء الأذكياء، وبالمناسبة، سمعنا أنك ستؤم الخلوي وخلق لرامي وأبيه!! وبالنسبة لـ" رابعاً"، فهنا الحديث يطول، ولكن تكثيفاً نقول: أنت الوحيد الذي استطعت أن تميز الثورة عن المؤامرة، والدليل انحيازك الفوري للنظام في وجه المتآمرين الذين يريدون إسقاطه بدعوى الجوع والفقر والكرامة والحرية.. فما هذه يقيناً إلا مطالب الصهيونية العالمية والإمبريالية المتوحشة!، أما خامساً وهو الأهم، فقد وعدت بتحقيق مطالب الجماهير، وقد وفيت.. وها هي الخيرات والحاجات الضرورية ومصادر الطاقة تملأ الأسواق السوداء... ولكن ما ذنبك أنت إذا ارتفعت أثمانها خمس أو ست أضعاف؟ ما ذنبك إذا كان الناس لا يستطيعون الحصول عليها بسبب عدم قيامهم بتوفير قرشهم الأبيض ليومهم الأسود... تحية لك أيها النائب الاقتصادي الوطني المعارض العتيد... وبالعربي الفصيح لن أخجل من التصريح لك: أحبك.. يا لطيف كم أحبك!!.

الثورة والفئات الموالية للنظام

إن حالة الاستقرار الخادعة التي كانت تعيشها البلاد قبل الثورة لم تكن ترضي غالبية السوريين، ومع أن كافة الشرائح في المجتمع السوري تريد إطلاق الحريات العامة وتشتكي من سياسات النظام الاقتصادية الليبرالية التفقيرية، إلا أن الخوف من الفوضى التي ستحصل نتيجة اندلاع الثورة، ونتيجة رد النظام العنيف عليها، والمتوقع، وما سيرافق ذلك من تدخلات خارجية، كل ذلك أخاف شرائح واسعة من الشعب السوري، إذ لا تحفظ ذاكرة العقل السوري سوى نماذج بائسة لحالات الفوضى من الدول المحيطة بدءاً من تهجير الفلسطينيين على أيدي اليهود وسلب أرضهم، إلى الحرب الأهلية الطائفية اللبنانية، ونظام الطائف البائس، إلى غزو العراق وتقسيمه إلى كانتونات طائفية وما رافقه من دمار للبنى التحتية وتهجير للسكان، خاصة المسيحيين، إلى تدخل الناتو السافر في ليبيا بحجة مساعدة الثوار، هذا فضلاً عما نقل من روايات وحكايا عن حرب النظام على الكتائب المسلحة للإخوان المسلمين في الثمانينيات.

فمع اندلاع الثورة في سورية وترسخها في المناطق الأكثر فقراً والأكثر شعبية، كان من الطبيعي أن تتمايز فئات في المجتمع السوري موالية للنظام تمثلت في سكان المدن الكبرى من الطبقة الوسطى التي تحظى ببعض الامتيازات وقسم من الأقليات القومية والدينية والعشائرية ممن ترسخ في ذهنها أكثر من باقي السوريين، بسبب سياسة النظام بعزل وتخويف مكونات المجتمع من بعضها البعض خلال عقود، فترسخ خوف من الفوضى والاقتتال الطائفي ومن المد الديني المتطرف ومن التدخل العسكري الخارجي. تمثل هذا الخوف في حالة مرضية هيستيرية بدت فيها بيئات مجتمعية بأسرها مصابة بعدم التوازن، وفقدان الوعي والمحاكمة المنطقية، فأخذت تبحث عن تبريرات واهية، لتؤكد صحة تخوفاتها تلك، من أنباء وإشاعات غالباً ما تساهم تلك الفئات، دون إدراك، في تأليفها ونشرها، وكثيراً ما وجدت ضالتها في ترهات وأكاذيب الإعلام السوري الذي لم يعرف يوماً حدوداً للأخلاق أو المهنية، وفي بعض القنوات الخليجية الطائفية (صفا ووصال) وغيرهما "العرعور"، ولاحقاً في بعض البرامج "الحوارية" البائسة والتي غالباً ما ينتهي النقاش فيها بالشتائم والضرب كبرنامج الاتجاه المعاكس وبعض البرامج على الفضائيات اللبنانية، فضلاً عما يعرض على باقي الفضائيات الناطقة بالعربية عموماً والداعمة للثورة والتي تركز على استضافة أطياف معارضة ليس لها علاقة بمسيرة الثورة لا من قريب ولا من بعيد، ولكنها تتحدث باسمها وتحمل طروحات متطرفة غوغائية وغير مدروسة لطالما أكدت مخاوف الفئات الموالية.

المكر الشديد

ولا بد من الإشارة إلى أن النظام يجيد، وبمكر شديد، الاحتفاظ بهذه الفئات في كل لحظة ومنعطف تمر به الثورة، إذ أنه لم يكتف بالاعتماد على موقفها المسبق المعادي للثورة، إذ أن هذه المخاوف ستتبدد مع تقدم الثورة وانتشارها ووضوح أهدافها، وهذا ما يحصل فعلاً، فعمد منذ البداية إلى إخلاء تلك المناطق من أية مظاهر معارضة، عبر تكثيف الاعتقالات وتهجير المعارضين وزرع المخبرين في كل زاوية، والأسوأ من ذلك تجنيد أصحاب السوابق والموتورين من هذه المناطق الموالية، خاصة في حمص وحلب ودير الزور ودمشق، وإعطائهم رواتب ثم إطلاق يدهم لسرقة المنازل والمحلات في المناطق المنتفضة التي تقع في أيدي الجيش النظامي وذلك مقابل مساعدة الجيش في التنكيل بالمحتجين في المناطق الثائرة. والأهم من ذلك إطلاق يدهم (الهمجية) في أحيائهم وقراهم لمضاعفة خوف الأهالي ومنع كل وسائل التوعية والتحريض التي يقوم بها بعض النشطاء من الوصول إليهم للمشاركة في الثورة أو دعمها. وما زاد الأمر سوءاً في هذه المناطق توريط العديد من الفقراء والمهمشين، الأكثر تضرراً من الوضع الاقتصادي المنهار، في المشاركة في السرقات التي يقوم بها الشبيحة، وذلك للتخفيف من أثر الأزمة الاقتصادية عليهم، وبالتالي الحفاظ على تأييدهم بل أكثر من ذلك جعلهم مستفيدين جداً من "الأزمة" واستخدامهم لممارسة المزيد من الضغط والتخويف على بقية الشرائح في مناطقهم والتي ظلت مسلوبة الإرادة والتفكير لصالح ولائها للنظام.

الثورة اليوم بحاجة إلى بلورة خطاب يعبر عنها ويصل إلى تلك الفئات الموالية ويبدد مخاوفها ويساعدها على الخروج من عزلتها التي فرضت عليها، من أجل مشاركة وتضامن هذه الفئات مع الثورة، وخاصة المناطق التي يقطنها علويون في الساحل وحمص وريف حماه كونها تشكل البيئة الحاضنة لمعظم قيادات الجيش النظامي من أجل رفع وتيرة الانشقاقات وتسريع سقوط النظام، والمشاركة الفعلية في عملية البناء.

"عسكرية"، تعمل على تحقيق انتصارات عسكرية على النظام، أي أنه اتجه للتشكل التنظيمي والعسكري تحت شعار: "إسقاط النظام بالكفاح المسلح". كما أنه اتجه للتخلي عن حرب العصابات الناجعة والناجحة التي كان يخوضها، فبينما كان يقوم بالضربات الخاطفة السريعة لمليشيات وحواجز النظام، متبعاً سياسة التقدم على شكل موجات وبحذر ومرونة شديدين. فإذا به يقوم مؤخراً (في دمشق وحلب) بسياسة التقدم المتسم بشيء من المغامرة والتمركز بالأحياء الشعبية بشكل منظم ومقصود، حيث يتدفق المقاتلون من خارج هذه الأحياء عليها، بشكل "إرادوي" من بعض الأطراف، وهو ما قد يضع الثورة في موقف حرج للغاية بسبب التفوق العسكري الكبير للنظام، وضعف دور الجماهير الشعبية في مثل هذا الشكل من النضال. إن انتهاء العمل الشعبي والتظاهر في المناطق التي يتمركز فيها الجيش الحر، بسبب تدمير المدن ونزوح السكان والتحول نحو الكفاح المسلح في المدن المدمرة، يحدث الآن وربما يتزايد، وهو أخطر ما يمكن أن يحمله هذا الشكل من العمل المسلح على التعبئة الجماهيرية والمشاركة الشعبية، حيث يؤدي بشكل أو بآخر إلى تجفيف المياه التي تتحرك داخلها أسماك «الجيش الحر» أو هجرتها إلى مناطق أخرى تكرر فيها تجربتها، حدث ذلك في بابا عمرو كما حدث في دوما وسقبا وعربين وعدة بلدات من ريف دمشق، وحدث مؤخراً في أحياء دمشق وحلب، وهو ما يتطلب دراسة ميدانية عسكرية لإمكانيات وتكتيكات العمل المسلح بحيث يحافظ على أكبر تعبئة شعبية ممكنة، ونعتقد بأن الإجابة على هذا السؤال هي عمل ملح وضروري للحفاظ على الثورة واستمرارها وانتصارها، دون تجاهل إمكانية أن تأتي الإجابة من مدرسة الجماهير العملية، وأن ينبثق الحل بصورة عفوية من مجرى الصراع بالذات.

من ناحية أخرى، لا يمكننا تجاوز ما يتصف به العمل المسلح في الثورة بعد تطوره الأخير وتشكله التنظيمي المستقل، من طابع مشوش وغير منضبط لجهات وطنية محددة، حيث تعددت فصائل العمل المسلح وتعددت أهدافها وطموحاتها، وهي في جزء منها غير طموحات وأهداف الشعب الثائر الذي يناضل منذ أكثر من عام ونصف في سبيل انتزاع الحريات السياسية وإقامة دولة علمانية ديمقراطية تصون مصالح الطبقات الشعبية، ما يعزز تلك التخوفات هو ضعف تأثير القوى الوطنية الديمقراطية في مثل هذا الشكل من النضال، في مقابل تأثير كبير للدول

تعددت فصائل العمل المسلح وتعددت أهدافها وطموحاتها، وبعضها لا يمثّل طموحات وأهداف الشعب الثائر الذي يناضل منذ أكثر من عام ونصف في سبيل انتزاع الحريات السياسية وإقامة دولة علمانية ديمقراطية تصون مصالح الطبقات الشعبية.

الغربية والخليجية مثل السعودية، حيث تدفع هذه الأخيرة إلى تبني خطاب طائفي من خلال تسميات الكتائب المقاتلة على الأرض و توجيه الدعم نحو الكتائب المتطرفة.

لكن التأثير الأكبر والأهم يبقى للبيئة الحاضنة للمقاومة الشعبية المسلحة، فالشعب الثائر الذي سطر ملاحم بطولية وأساطير ثورية، يبقى الضمانة الأساسية والوحيدة لضبط العمل المسلح وحصر أهدافه بأهداف الثورة، تماماً كما أنه الضمانة لمستقبل سورية القادم، سورية علمانية ديمقراطية موحدة، تكون عند مستوى طموحات وآمال الشعب السوري، فيما تخيّب طموحات وآمال الدول العظمى والصغرى على حد سواء.

يقع على كاهل قوى الثورة حالياً بذل جهود كبيرة لاستمرار أكبر قدر من المشاركة الشعبية في الثورة، فميزان القوى لا يمكن أن يميل لصالح الثورة اعتماداً على العمل المسلح فقط، والنصر العسكري للثورة غير متوفر ولا يزال بعيد الاحتمال. النصر الوحيد الممكن يأتي عبر حشد كل طاقات وإمكانيات الثورة الشعبية في مواجهة النظام حتى إسقاطه. ربما نكون في اللحظة الأخيرة قبل الانتصار، لكنها لن تتحقق دون جهد كبير، وربما نكون الآن بحاجة إلى جهد سياسي ودعاوي كبير من أجل أن نصل إلى الانتصار.

الثورة ليست سلفية، ولا هي من أجل سلطة مستبدة باسم الدين، بل هي من أجل الخبز والحرية والكرامة، من أجل العمل والأجر الذي يسمح بعيش كريم، ومن أجل دولة علمانية ديمقراطية، ووطن مستقل وقوي.

الحراك في السويداء

تعتمل في السويداء منذ بدء الثورة نار باردة، تكوي الجراح التي أحدثها ويحدثها الاستبداد المديد، على مهل، وتحدث تبدلاً واضحاً في مزاجها الشعبي الخائف من التغيير، والمضلل إلى حد ما بالبروباغاندا الإعلامية لجهاز السلطة، وتسمي الأشياء بمسمياتها، رغم زمن الاستغراق الطويل الذي أخذته.

لا يمكن وصف السويداء اليوم بأنها محافظة ثائرة، بالقياس مع غيرها من المناطق، إلا أن روح الثورة تعتمل فيها، وتتفاعل مع بقية الجسد السوري، بخجل تارة، وقلة ثقة بالنفس تارة أخرى، وبقراءة الأحداث الأخيرة في السويداء نستطيع توضيح مقدار الثورة الكامن فيها، حيث بالغت السلطات في الآونة الأخيرة بالتصدي للمظاهرات السلمية، وقابلتها بعنف شديد، وعملت على فرض اعتقالات واسعة لكتل كبيرة من الثوار والناشطين والسياسيين، مع حملات تشويه في سمعة الثورة والمعارضين في المحافظة، وإطلاق يد الشبيحة وأزلام النظام للتطاول على كرامات الناس وأرزاقهم، بغرض إثارة الفتنة بين أهل البلد الواحد والطائفة الواحدة، وكان أن استسهلت السلطات الدم السوري، وعمدت إلى تصفية المعارضين صفوان شقير ومعين رضوان، مما فجر الغضب في مدينتي السويداء والقريا، فخرجت الآلاف في تشييع مهيب تحول إلى مظاهرات هي الأكبر على الإطلاق منذ بدء الثورة في المحافظة، مما أدهش الجميع من حجم الإحتقان والغضب المعتملين في الصدور، واستوجب ردات فعل عنفية من سلطات الأمر الواقع، فقامت بإطلاق النار في القريا على المشيعين، ونفذت حملات دهم واعتقال واسعة بعدها، ونشرت الحواجز بين معظم البلدات.

منع أهل الشهيد الرقيب المنشق مجد زين من تشييعه، وكان قد استشهد دفاعاً عن مدينة الرستن، كما امتنعت السلطات كذلك عن تسليم جثامين الشهيدين ياسر عواد وشفيق شقير واللذين تم إعدامهما ميدانياً عند محاولتهما تهريب أحد الجنود المنشقين إلى درعا.

ما يلفت الانتباه بعد التشييع هو التحول في العقل الأمني من قمع المظاهرات وفضها بالعنف إلى منعها بالمطلق، حيث تمت مواجهة محاولات التظاهر التالية بإغلاق المدينة وتطويق الشوارع بالكامل، وفرض حالة من حظر التجول، مع انتشار استعراضي للمسلحين والشبيحة، مما أثار استياءً عاماً حتى في صفوف من يحسبون على النظام، وبدأت السلطة بعدها بالإفراج السريع والكثيف عن جثث الجنود الإلزاميين من المحافظة والمحتجزة في برادات المشفى الوطني، وقامت بحملات مسعورة لتأليب الناس بعضهم على بعض، بالإضافة إلى تسليم جثمان الشاب علاء حرب إلى ذويه ومنعهم من تشييعه، وكان قد قتل تحت التعذيب في أقبية المخابرات، وتعد هذه سابقة خطيرة في تعامل الأمن مع معتقلي السويداء، كما منع أهل الشهيد الرقيب المنشق مجد زين من تشييعه، وكان قد استشهد دفاعاً عن مدينة الرستن، كما امتنعت السلطات كذلك عن تسليم جثامين الشهيدين ياسر عواد وشفيق شقير، اللذين تم إعدامهما ميدانياً عند محاولتهما تهريب أحد الجنود المنشقين إلى درعا.

من أجل تحقيق مصالح الطبقات الشعبية

نريد إسقاط النظام

كما أن السلطات الأمنية ما زالت تقوم بقصف مدفعي عشوائي على درعا من مناطق عسكرية وحواجز لها في المناطق المتاخمة لدرعا في السويداء، مما تسبب في حدوث مواجهات مسلحة عدة مرات مع هذه النقاط.

في الأيام الأخيرة، وعلى إثر التصعيد الثوري في دمشق، ورد فعل السلطة البربري الذاهب باتجاه سياسة الأرض المحروقة، توجهت أعداد كبيرة من النازحين والهاربين من قصف جيش النظام إلى السويداء، وصارت المدينة مركزاً لجهود الإغاثة، حيث وجهت مجموعات الشباب، وبسلاسة نسبياً، جهودها باتجاه احتواء الوافدين إلى المحافظة وتأمين سبل إيوائهم وحمايتهم، مع ملاحظة أن معظم النازحين هم من الطبقات الفقيرة والمعدمة.

اللاجئون: عندما يتقدّم السياسي على الإنساني

في مشهدٍ يذكّر بلجوء شعب فلسطين في النّكبة ونزوحهم مع بعض إخوتهم العرب في النّكسة، لجأ عشرات آلاف الأهالي السوريين إلى مناطق أكثر أمناً، هاربين من قذائف الموت والدّمار التي لحقت ببيوتهم وحاراتهم، منهم أطفالٌ فقدوا قدرتهم حتى على الكلام من هول ما رأوه، حالات إنسانية مرعبة تعكس جزءاً صغيراً من عمق المعاناة الحقيقية التي يزرح تحتها الشعب السوري، بسبب بطش النظام في مواجهة ثورة شعبيّة عادلة عليه، لقد عبر آلاف اللاجئين السوريين "غير الشرعيين" الحدود إلى الدول المجاورة، والذين وصل عددهم إلى مئات آلاف اللاجئين، والحقيقة أن ظروف كل مخيمات اللاجئين سيّئة للغاية، حيث تعاني نقصاً كبيراً في المواد والمستلزمات الأساسيّة، أما اللاجئون الذين دخلوا -ويدخلون- بطريقة «مشروعة"، فالكثير منهم لا يسمح له بدخول أراضي تلك الدول بشكل طبيعي، وبلا أي مبرّر، وهو مشهدٌ يتكرّر كل يوم في المطارات والحدود، وفي العديد من الدول العربيّة التي تعاني أنظمتها من تخبّط وهوس أمني غير عادي، منذ إنطلاق الرّبيع العربي، في الأردن، لا يسمح بدخول اللاجئين السوريين، إلا بتكفيلهم من مواطن أردني، وبشروط صعبة، وإجراءات طويلة تصعّب من عمليّة التّكفيل، أما اللاجئون الفلسطينيون، فيعانون من عزلٍ تام، حيث لا يسمح بتكفيلهم، وحدثت حالات إنسانية منعت من دخول مستشفيات المملكة، والسبب، كما يبدو، هو الخوف (أو التخويف) من مؤامرة "الوطن البديل" للفلسطينيين في الأردن، خوفاً من عشرات الأهالي المضطّهدين، حجزتهم الحكومة قيد القهر والموت البطيء في حالة إنسانية مزرية، حيث أصيب العديد منهم بالجرب ولدغات العقارب.. معاناة اللاجئين السوريين تعيد تأكيد حقيقة ثوريّة قاسية، وهي أولويّة السياسي على الإنساني، في عالمنا الرجعي، إن ما يفاجئ حقاً في هذه المسألة هو التحريض الذي تمارسه بعض "النخب" المعزولة -عن نبض الشارع والمحسوبة على المعارضة الوطنية- ضد لاجئي سورية، حيث دعا بعضهم في أكثر من مناسبة الحكومة الأردنية لعزلهم وتضييق الخناق عليهم ومنعهم من ممارسة أي نشاط معارض، هذه الممارسات والأوضاع غير الإنسانية التي يعيشها ويتعرّض لها اللاجئ السوري إلى البلدان العربية لا يمكن أن تستمر بهذا الشكل، ويجب تسليط الضوء على هذا الملف لتخفيف معاناة شعب يتعرض لأقسى أشكال التنكيل، ومن الإجرام المشاركة في اضطهادهم وإذلالهم، هذه الممارسات تتناقض مع المواثيق والمعاهدات والقوانين الدولية، وقبل ذلك، منافية للمنطق الإنساني الطبيعي والأخلاقي، الذي استبدلته الأنظمة السلطويّة، بمنطق أمني، وأمام هذا المشهد، يحق لنا التساؤل عن دوّر المجلس الوطني السوري الذي يقدّم نفسه كممثّل لثورة الشعب السوري في حماية اللاجئين، وعن عشرات الملايين التي تلقّاها.. أليس من المهام الأساسيّة لدعم الثورة العمل على تأمين اللاجئين وحمايتهم؟ على كافة الدول التي لجأ إليها السوريين، والمنظمات الدوليّة ومن يدّعي دعم وتمثيل الثورة السوريّة، وكل من يدافع عن الشعوب والعدالة والثورة، أن يعملوا لأجل تلبية احتياجات اللاجئين، وأن يعلموا أنهم أمام مسؤولية أخلاقيّة وإنسانيّة وتاريخيّة وقانونيّة، معاناة اللاجئين السوريين في لبنان وتركيا وسواهما، لا تقل سوءاً عن حالهم في الأردن، وقد زاد الطين بلة منع العراق استقبال اللاجئين السوريين، ولكنها هي هي حالة اللاجىء في غير أرضه، والآن لدينا نازحون وبالملايين داخل سورية... ولكن الأغلبية العظمى في سورية، لن تستكين ما لم يسقط هذا النظام، فبعد كل هذا القتل والتدمير والتعذيب واللجوء، لا يمكن للسوري أن يرضى بأقل من رحيل هذا النظام، نعم وضع اللاجئين مأساوي خارج سورية وداخلها، رغم أن لاجئي الداخل، لاقوا ترحيباً كبيراً من كافة فئات المجتمع السوري الذي أثبت لحمة وطنية عالية الرقي، حيث لم يتوانَ وعلى مدار عمر الثورة، عن تقديم كل أشكال الدعم للاجئين ولكل المنخرطين في الثورة، ولكل من يعمل من أجل إسقاط النظام بشتى الأشكال، الشبيحة فقط، هم من أساؤوا ويسيئون للاجئين.

وأخيراً نقول: إن الثورة السورية ستنتصر، وسينال هذا الشعب حريته ويبني دولته التي تعبر عن إرادته، وتلبي كافة احتياجات السوريين جميعاً، ولن ينسى هذا الشعب المكافح من وقف إلى جانبه، كما لن ينسى كل من أساء إليه.